الخاتمة

كانت هذه المادة عن البناء الفكري، ويتوقع أن يكون القارئ قد لاحظ أن البناء الفكري هو بناء يتصف بالتنظيم والتماسك، والاحتكام إلى مرجعية كلية تعطيه وصفاً محدداً وتميزه عن أوصاف أخرى. وهو يتغير باستمرار في الاتساع والعمق. وموضوع البناء هو الفكر، وهو خاصية للإنسان المخلوق كرّمه الخالق بها، وهي أمانة عند كل إنسان عليه أن يرعاها حق رعايتها، بما يلزمها عن متطلبات النمو السليم والتطوير والتحسين.

وعندما يصل القارئ إلى هذا القدر من القراءة يحق له أن يسأل، ما الذي قرأه؟ وعلى الأغلب سوف يعيد النظر في عنوان المادة المقروءة، وربما نظر في قائمة موضوعات هذه المادة، ليتذكر العناصر الفكرية الكبرى (التضاريس) التي تضمنتها خريطة الأفكار التي كان يقرأها. وربما أعاد قراءة مادة بعض العناوين الفرعية، ليتذكر من جديد ملامح عنصر من العناصر الفكرية للموضوع. وسوف يخطر ببال القارئ أن يتحدث عن موضوع القراءة إلى بعض أهل بيته أو أحد معارفه، فيحدد ما الذي سيقوله، وما الأسئلة التي ربما يسألها، والملحوظات التي سوف يذكرها.

لكنَّ من المؤكد أنَّ القارئ سوف يتذكر شيئاً لم يقرأه، يتذكر بعض العناوين التي كان يبحث عنها، ولكنَّه لا يذكر أنَّه قرأها في هذه المادة، وربما يعيد النظر في الخريطة من جديد، ليتأكد أنَّ تلك العناوين لم تكن موجودة. ومن ثَمّ سوف يحدد لنفسه مهمة جديدة للبحث عن مواد أخرىٰ للقراءة.

وسوف يقفز إلىٰ ذهن القارئ مواد أخرىٰ في الموضوع كان قد قرأها من قبل، وسوف يتفكر في وجوه الشبه والاختلاف بين هذه المادة التي انتهىٰ من قراءتها للتوّ وتلك المواد الأخرىٰ. وفي ضوء ما يتذكره من وجوه الشبه والاختلاف سوف يقوم بعملية تصنيف ليضيف هذه المادة إلىٰ فئة من فئات المواد الأخرىٰ، فهذه المادة مثلاً هي فكر إسلامي، لكنه أقرب إلىٰ أن يقع ضمن مدرسة فكرية إسلامية محددة، وسوف يتذكر أسماء الكتّاب والمؤلفين والمفكرين الذين ينتمون إلىٰ هذه المدرسة.

هذه أمثلة علىٰ التداعي الذهني، وحركة العقل، ومرور الخواطر، وجَوَلان الفكر، وكلها صور من النشاط العقلي البشري الذي يعبّر عن الحالة الصحية في توظيف القدرات الفكرية للإنسان، وأيّ ضعف في ممارسة هذا النشاط، يجده القارئ في نفسه، سوف يكون ناتجاً عن خلل في تنظيم عمليات التفكير، يحتاج إلىٰ معالجة.

يتوقع من القارئ أن يتعلم شيئاً عن مقدار الجذب الذي تمثله المواقع الفكرية التي يشغلها بعض أفراد النخبة في المجتمع، والمستويات

المختلفة من البناء الفكري التي تتميّز بها فئات النخبة، والخصائص التي تتميّز به الغالبية العظمي من الناس، الذين يصعب تصنيفهم في أي موقع. وسوف يتعلم أن الحالة الطبيعية في المجتمع أن تختلف مستويات البناء الفكري لدىٰ الأفراد والفئات، وأن هذا التفاوت أمرٌ محمود، فلكل فرد مستوىٰ فكري معين، ولكل فرد دوره في المجتمع، وتتكامل هذه الأدوار للقيام بالوظائف الفكرية في المجتمع.

ويتوقع أن يتساءل القارئ عن موقع بنائه الفكري بين هذه الصور التي قرأها عن البناء الفكري. سوف يتساءل: ما الذي يملكه من أفكار، وأي المدارس الفكرية هو أقرب إليها؟ وما معالم الخريطة الفكرية التي تمثّل مجمل أفكاره وعناصرها الكبرىٰ؟ وما العوامل التي أثرت في تشكل هذه الخريطة؟ وكيف أثرت هذه العوامل ومتىٰ، وبأي مقدار؟ وربما يميل إلىٰ تحديد الموقع الذي يريد أن يكون فيه بعد الآن: موقع العالِم أو المثقَّف أو الداعية أو المصلح أو الفيلسوف أو المفكِّر.

ويتوقع من القارئ أن يتساءل كذلك عن العلاقة بين الفكر والسلوك، وعن المعنىٰ الذي يشير إليه اتساقهما، والمعنىٰ الذي يشير إليه الاختلاف بينهما. وسوف تقفز إلىٰ ذهنه نماذج من الشخصيات العامة في حالتي الاتساق أو التناقض، وسوف يتخيل الحالة الذي يختارها لنفسه بين الحالتين.

ويتوقع أن يتساءل القارئ عن محددات شخصية الفرد الإنساني، وموقع البناء الفكري في هذه الشخصية بالمقارنة مع البناء العاطفي

والوجداني لهذه الشخصية. هل هما بناءان مختلفان، وكيف يؤثران في شخصية الفرد؟ وما علاقة الموضوعية والذاتية في كل من البناءين؟

إذا استطاعت هذه المادة المكتوبة أن تثير هذه الأسئلة وأمثالها لدى القارئ، وحركته للبحث عن إجابات عنها، فقد حققت هذه المادة بعض أهدافها.

والحمد لله رب العالمين.

obeikan.com

هذا الكتاب

الفكر، والتّفكير، والتّفكُّر، والتّدبُّر، والتّذكُّر،... مفاهيمُ أساسية رافقت الوجود الإنساني، منذ بدء الخليقة، وسوف تبقى معه إلى نهايتها، دون أن تثبت مادتها وموضوعاتها ومستوياتها عند حد معين، في حياة الفرد البشري أو الجيل البشري. فكيف يمكن لكتاب أن يستقصي ذلك؟!

هذا الكتاب إذاً، مدخل إلى الفكر وحسب؛ مدخل في مفاهيمه ومستوياته وخرائطه... تضمن تجوالاً فكرياً: في موضوع الفكر؛ وفي مصادره في الأصول والتراث والخبرة المعاصرة، وموضوعاته، وأدواته، ونصيب أصناف أهله منه، والمؤسسات المتخصصة فيه، وعلاقته بالعلم جملة، وبالعلوم النفسية والتربوية والاجتماعية واللغوية والسياسية...

وهو كذلك مدخل إلى عملية البناء الفكري؛ كيف تبدأ، ثم تتواصل مرحلة بعد أخرى؟ وكيف تترقى من مستوى إلى آخر؟ وكيف تتنوع في المحتوى الذي تبنيه؟

وهو قبل ذلك وبعده، أسئلة كثيرة، وإجابات قليلة؛ فقيمةُ التّفكُّر في إثارة الأسئلة لا تقلُّ عن التفكر في البحث عن إجاباتها، وبعض الإجابات عارضة مؤقتة، تتغير وتتعمق مع مزيد من الفِكْر والذِّكْر، والتّفكُّر والتّذكُّر.

قد يجد القارئ في الكتاب بعض مواطن المتعة والطرافة، لكنه سوف يجد كذلك مواطن كثيرة تضطره إلى التّفكُّر والتّدبُّر، فإذا نجح الكتاب في الأمرين، فذلك ما كان يهدف إليه!

فتحي حسن ملكاوي:

تربوي وأستاذ جامعي أردني، دكتوراه في التربية العلمية وفلسفة العلوم من جامعة ولاية ميتشجان الأمريكية عام ١٩٨٤م، المدير الإقليمي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، رئيس تحرير مجلة إسلامية المعرفة، وعضو في مجمع اللغة العربية الأردني، من آخر إنتاجه العلمي: كتاب منهجية التكامل المعرفي؛ مقدمات في المنهجية الإسلامية، وكتاب البناء الفكري؛ مفهومه ومستوياته وخرائطه، وكتاب منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران. يعمل حالياً على إخراج مشروع: "التراث الإسلامي، والفكر التربوي الإسلامي".

ISBN 978-56564-640-7-9